

وفي رأبي أن قوة الكلام لا تدخل لها في التعليل، فالتعليل في أوضح تعريف له هو: تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر»(٩٧)، فإذا قلنا مثلاً: ذاكر الطالب لينجح، فإن المذاكرة مؤثر لإثبات الأثر الناتج عنها وهو النجاح، ولم يتحقق هذا التعليل إلا باللام التي من معانيها التعليل.

أما قوة الكلام فإنها تعطى للأسلوب تأكيداً، ولم تعطه تعليلاً وفاق كبير بين التأكيد والتعليل.

ولو أنعمنا النظر في تقدير الذين يقولون بظرفية إذ الواقعة للتعليل لرأينا أن في هذا التقدير بُعداً وتكلفاً، وتحميلاً للألفاظ بما لا تحتمل فقد رأوا أنه «إذا قيل: ضربته إذ أساء، وأريد بـ «إذ» الوقت اقتضى ظاهر الحال أن الاساءة سبب الضرب»(٩٨).

وفي نظري، لاداعي لتقدير الوقت في هذا المثال، لأن إذ قامت مقام لام التعليل أي ضربته للإساءة، وما دامت تؤدي معنى التعليل، فإن المناسب أن تكون حرفاً كـ (لام) التعليل..

على أنه يترتب على جعلها ظرفاً إشكالات نحن في غنى عنها.

وقد أشار إلى هذه الإشكالات السيوطي حينما بين أن إذ في الآية السابقة لا تبدل من «اليوم» لاختلاف الزمانين، ولا تكون ظرفاً لـ «ينفع» لأنه لا يعمل في ظرفين، ولا «مشتركون»، لأن معمول خبير «أن» وأخواتها لا يتقدم عليها، ولأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول، ولأن اشتراكهم في الآخرة لا في ظلمهم»(٩٩).

ويحاول الزخشي أن يخرج من هذه الإشكالات حينما يقدر إذ في الآية بأنها دالة على الظرفية بما نصه: «فإن قلت: مامعنى قوله تعالى: «إذ ظلمتم؟ قلت: معناه، إذ صح وتبين لكم، ولم يبق لكم، ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين، وذلك يوم القيامة، و«إذ» يدل من اليوم، ونظيره: